العنف الثوري
بين الوسيلة والغاية

يزيد خلف

«إن البريطانيين الذين يسلحون رجال الكوماندوس بالمدى ويوعزون إليهم بالقتل بهذه الطريقة تماماً ـ أي من الخلف ـ احتجوا بشدة حين طُبقت مثل هذه التكتيكات ضدهم. وربما سيطرح أن هذه الاشياء مسموحة فقط خلال الحرب. إن ذلك لهراء. كنت أخوض حرباً في قبرص ضد البريطانيين، واذا لم يدركوا هذه الحقيقة بداية، اضطروا الى ذلك نهاية. تتمثل الحقيقة في ان شكل حربنا، التي سقط خلالها بضع مئات خلال سنوات أربع، كان اكثر انتقائية من غيرها، واتكلم كشخص شاهد ساحات القتال المكسوة بالقتلى. لم نضرب كيفما اتفق، بلا تعيين، كالطائرة القاذفة. بل أصبنا، فقط، الجنود البريطانيين الذين كانوا سيقتلوننا لو تمكنوا من إطلاق النار اولاً؛ واصبنا المدنيين الذين كانوا خونة أو عملاء للاستخبارات.

«ربما كان قتل الاعداء في وسط الشارع بلا سابقة، لكنني كنت أبحث عن النتائج وليس السوابق... إن الحرب قاسية ولا مجال للفوز ضد قوات متفوقة سوى بالحيلة والخداع: فلا يتسنى لك أن تميز بين الضرب من امام أو من خلف، مثلما لا يتسنى لك التمييز بين استخدام البنادق أو مدافع الهاوتزر. فلينتقدني البريطانيون لأنني خضت الحرب في قبرص، لكني ما كنت مضطراً لاستئذانهم للقيام بذلك- ولا يمكنهم إنكار أنني فعلت ذلك بأنجع الطرق. أما بالنسبة الي، فقد وضعت حداً مانعاً امام التصرف بقساوة غير ضرورية»[1].

بهذه الكلمات أوضح أحد قادة حرب تحرير قبرص من الاحتلال البريطاني في عقد الخمسينات نظرته الى استخدام التكتيكات العسكرية السرية المعروفة بالأساليب «الارهابية». وقد تمثلت تلك الأساليب أساساً بالاغتيالات والهجمات المفاجئة على المخافر ووضع العبوات الناسفة في الأماكن العامة. وتتمثل اهمية هذه الكلمات، في الوقت الحاضر، في طرحها لمنطق ومبررات واهداف الارهاب حين يستخدم في نضال تحرري. وتساعد هذه الكلمات، ايضاً، في محاولة التمييز بين ما هو مبرَّر منه وما هو غير مبرَّر، بالمعايير الأخلاقية والسياسية والعملية ـ المصلحية، حين يستخدم في الحالة الفلسطينية، وخصوصاً في ضوء

شؤون فلسطينية ـ العدد ١٥٢ ـ ١٥٣، تشرين الثاني /كانون الأول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٥